ليالي مقمرة

«في مدينة الصيادين الحياة صعبة، في مدينة الصيادين الليالي حزينة»

هكذا كان يغني الصبي الصغير وهو يتمشى على شاطئ البحر في ليلة من الليالي المقمرة، كان والده صيادًا فقيرًا يلقي بشباك الأماني والرجاء كلّ يوم؛ ليعود آخر النهار بما يسدّ به رمق أبنائه، وكانت زوجته تغزل من الصبر رداءً؛ ليواريهم من برد الفقر والعوز، ودائمًا كانت تخيف الصبي من المشي علي الشاطئ في الليالي المقمرة؛ خوفًا من حكايات قديمة يتناقلها البحارة عبر العصور على الرغم من أن أحدًا لم يستطع تأكيدها.

الصبي يخاف من الجوع والبرد والفقر أكثر من حكايات البحارة القديمة، لذا قرر أن يتمشى على الشاطئ، ويستمتع برائحة البحر ومنظر القمر الذي غافل الناس؛ ليستحم في مياه البحر المنعشة عاشقا لصورته المنعكسة على صفحة الماء.

وبينما هو يغني؛ فإذا بالماء يضطرب، وتظهر له صبية جميلة تنظر له وتبتسم، خاف لحظيًّا، ولكن عينيْه ارتاحتا لبراءة الوجه الجميل، واقترب بمصباحه الصغير منها وسألها:

«من أنت؟ وما أنت؟».

قالت له:

« عـروس البحـر الـتي ينسـجون عنهـا الحكايـات ويقولـون عنهـا: إنّهـا تخطـف البحـارة».

فتبسم الصبي ضاحكًا من قولها، فتعجّبت، وقالت:

«ألا تخاف مني أيها الصغير؟».

قال لها:

«لا ليـس فيـك مـا يخيـف إلّا حكايـات البحـار..ة وهي مجرد حكايـات للتسـلية أمـام النـيران في الليالي البـاردة الطويلة».

فابتسمت له، وأعجبت بشجاعته وقالت له:

«لسـت تنتمـي لقريـة الصيادين، فمـا رأيـك أن تأتـي معـي ونلعـب سـويًّا؟ سـوف أحضـر لـك كل مـا تشـتهي».

قال لها:

«أمـا اللعـب فنعـم، وأمـا أن آتـي معـك فـلا، لأنـني قـررت تغيـير الأغنيـة الحزينـة الـتي يشـدو بهـا الصيـادون، وأكتـب أغنيـة جديـدة سـيكون مفتحهـا: «في مدينـة الصيادين الحيـاة جميلـة، في مدينـة الصيادين الليالـي كالخميلـة، تفـوح بعطـر

الـورود»، وسـوف أقنعهـم بالتخلـي عـن الأغنيـات القديمـة، وأبـيّن لهـم أن حكاياتهـم عـن الليالـي المقمـرة خرافـات، لا يمكـن أن يجتمـع النـور الـذي يبـدد الظـلام بالخـوف والأوهـام».

ازداد إعجابها بالصبي وقالت له:

«إذن سـنصير أصدقـاء، وسـوف آتـي لـك في كل ليلة مقمرة؛ لتحدثـني عـن أحلامـك وأغانيـك، ونلعـب سـويًّا، وأجلـب لـك كل مـا تريـد مـن حلـوى، فـلا تنـسَ موعدنـا في الليالـي المقمـرة.